

ملاحم المقالة الموضوعية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي

د. باسم ناظم سليمان
كلية التربية - جامعة كركوك

تاريخ تسليم البحث : 2009/10/11 ؛ تاريخ قبول النشر : 2010/1/7

ملخص البحث :

كانت المقالة وما تزال من الفنون الأدبية النثرية الشائعة ؛ لمعالجتها قضايا عديدة وموضوعات كثيرة بأسلوب واضح وفي أقل من صفحة أو أكثر ييثر الكاتب من خلالها رسالته وغرضه الى عامة الناس وخاصتهم هادفاً إلى غايته الاجتماعية أو العلمية أو الأدبية أو السياسية أو الفلسفية .

وإذا اجمع الدارسون على أن الكاتب الفرنسي مونتاني (1533م - 1592م) هو أول من كتب المقالة الذاتية ، فهذه الدراسة تبين ان عناصر المقالة الموضوعية وملاحمها تجلت في كتاب المقابسات للتوحيدي (ت380هـ) ، وقد وظفت المنهج التحليلي في دراستي هذه واستقيت من مصادر عدة ابرزها كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي بتحقيق حسن السندوبي ، وأبو حيان التوحيدي للدكتور أحمد محمد الحوفي ، وأبو حيان التوحيدي سيرته - آثاره لعبد الرزاق محيي الدين ، ودفاع عن المقالة الادبية للدكتور فائق مصطفى .

قسمت خطة البحث الى تمهيد ومبحثين ، تضمن التمهيدي مفهوم المقالة وسيرة التوحيدي ، وخصصت المبحث الاول لدراسة الاتجاهات الموضوعية في الكتاب كالاتجاه الفلسفي والنفسي والاخلاقي والديني والنقدي والسياسي . وتناولت في المبحث الثاني دراسة الملاحم الفنية للمقالة في كتاب المقابسات كالعنوان والاستهلال والعرض والخاتمة واساليب السرد والفنون البلاغية وصيغ التعبير ، ولا ازعم ان الكتاب تضمن مقالات ناضجة ، ومكتملة فنيا ، ولكني ارى ان ملاحم أو عناصر المقالة الموضوعية تكاد تتجلى فيه ، فالحديث يدور على نحو موضوعي بعيد عن الذاتية ويصور موضوعات فلسفية ونفسية ونقدية وسياسية بأسلوب واضح وموضوع محدد وتصميم منهجي كالاستهلال والعرض والخاتمة ، وفضلا عن ذلك فان مصطلح المقالة مازال يفتقر الى الدقة كما سنبين في التمهيدي . ادعو الله تعالى أن يوفقنا لما فيه الخير والثواب انه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

Features of the Objective Essay in *Al Muqabasat* By Abi Hayan Al Tauhidy

Dr. Basim Nadhim Sulaiman
College of Education - Kirkuk University

Abstract:

Essay has been a common prosaic art due to its treating many issues and subjects in a clear style and a less than or more than a page in which the essayist delivers his message and purpose to the public and the particular people, aiming at his social, scientific, literary, political or philosophical goal. The study explains that the elements of the objective essay and its features are evident in *Al Muqabasat* by Abi Hayan Al Tauhidy (d. 380 A. H.) even though scholars agree that the French writer Montaigne (1533-1592) is the first writer of autobiographical essay. It employs the analytical method and makes extracts from many sources, the prominent ones include: *Al Muqabasat* by Abi Hayan Al Tauhidy authenticated by Hasan As Sandubi, , *Abu Hayan Al Tauhidy* by Dr. Ahmed Muhammed Al Hufi, *Abu Hayan Al Tauhidy: Biography and Heritage* by Abdul Razzaq Muhiddin, and *Apology for Literary Essay* by Dr. Faiq Hasan.

The research plan falls into an introduction and two sections. The introduction tackles the concept of essay and Abi Hayan Al Tauhidy's Biography. The first section is devoted to the study of the subjects trends in the book, *Al Muqabasat*, such as the philosophical trend, the moral trend, the religious, the critical and the political one. As for the second section, it tackles the artistic features of essay in *Al Muqabasat* like the topic, presentation, conclusion, narrative styles, rhetorical arts and modes of expression. The features or elements of the objective essay are evident in the book. Besides, the term of essay still lacks precision as it is explained in the introduction.

التمهيد : مفهوم المقالة :

المقالة لغة مقتبسة من القول (قال يقول قولاً وقيلاً وقولة ومقالاً ومقالة)⁽¹⁾ . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة فصلت / الآية 33 . وقال عز وجل : ﴿ وَأَخْلَلْ عُقَدَةَ مِّنْ لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ سورة طه / الآية 27-28 .

المقالة اصطلاحاً :

تتعدم الدقة في تحديد مصطلح المقالة إذ يسوده اللبس والغموض والتداخل بسبب تعدد التسميات واختلاف الثقافات وتباين الرؤى عند الدارسين فلم أجد (مصطلحاً في النقد العربي الحديث يفتقر الى الدقة وينم عن الاضطراب مثل مصطلح المقالة فهذا المصطلح يستخدم في الخطاب النقدي العربي باشكال وتسميات مختلفة حتى يكاد يرى عند كل ناقد بتسمية خاصة وفوق ذلك هناك اختلافات بين النقاد حول مفهوم المقالة وانواعها وحدود كل نوع وما يميز نوعاً عن آخر)⁽²⁾ . وقيل أنه (بحث في سطور أو صفحات معدودة شاعت كتابته بعد انتشار الجرائد والمجلات وتتميز هذه المقالة بالتركيز على المعنى وبوضوح العرض والانتهاه في معظم الاحيان الى مُحصلات بارزة ترسخ في أذهان القراء)⁽³⁾ . ومن الاخطاء الشائعة بين الدارسين الادعاء بان ظهور المقالة مرتبط بانتشار الصحف والمجلات (فقبل أن تعرف الصحف وقبل أن يخترع فن الطباعة الآلية بقرون طويلة عرف فن المقالة حيث اختاره عدد من الأدباء قالباً فنياً منذ عصر اليونان القدماء وربما كانت أقدم صورة للمقالة هي صورة الشخصيات النمطية فلدينا من عصر الإغريق مجموعة من هذا النوع للكاتب الاخلاقي تيو فراست عنوانها (صور نمطية) وفي كل صور منها يرصد ويحلل السمات المختلفة لانواع من السلوك البشري السليم أو المعيب بحيث تعتبر كل صورة تجسيدا لنمط من السلوك كسلوك البخيل أو الجبان أو الكريم أو الشجاع أو المنافق أو غيرها وهي صور مجردة أي لم يرسمها الكاتب لشخصية بعينها عاشت فعلاً في عصره ولذلك نسميها بالصور النمطية)⁽⁴⁾ .

وتتضح بذور وملاحم المقالة في العديد من مصنفات كتاب العصر العباسي فقد ألف قسم منهم مقالات اتسمت بالقصر لمعالجة موضوعات لغوية أو وعظية أو اجتماعية أو نفسية أو تربوية كما هو الحال في كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، وفي كتاب الفصول والغايات لأبي العلاء المعري وكتاب صيد الخاطر لابن الجوزي .

إن المقالة لم تتضح فجأة ، بل نمت وتطورت حتى صارت جنساً أدبياً ثم (تتكامل مقومات المقال وتبرز معالمه بين الأشكال الأدبية في الأدب الأوربي في القرن السادس عشر حتى إذا علا شأن الحضارة الإنسانية واتسعت آفاق الكشف والمخترعات وازدهر ميدان الطباعة

والنشر والصحافة أصبح هذا الفن منافساً خطيراً لكل الفنون الأدبية الأخرى لدى كل الشعوب التي انتفعت من حضارة العصر في هذا الميدان⁽⁵⁾ .

أنواع المقالة :

1- المقالة الذاتية :

تعكس المقالة الذاتية رؤية الكاتب الفردية فتطغى مشاعره وأفكاره في بنية النص لأنها (تتبع من رغبة الكاتب في التعبير عن تجاربه الشخصية وتأملاته في الكون والحياة والناس من خلال عمل إبداعي يستمد عناصره من مشاعره ومن وجهة نظره الخاصة)⁽⁶⁾ ومن أنماط المقالة الذاتية مقالة النقد الاجتماعي والمقالة الوصفية ومقالة السيرة الذاتية ، والمقالة الوجدانية . والمقالة الذاتية صادرة عن وجدان الكاتب وعواطفه لذلك فهي صورة عن تجارب شعورية لشخصية الكاتب .

2- المقالة الموضوعية :

تقل فيها الذاتية والفردية فلا تطغى عليها المشاعر والأحاسيس لأنها (لا تفسح المجال أمام انفعالات كاتبها وأحاسيسه ومشاعره الخاصة حيث تهتم أولاً بتجلية موضوعها إذ أنها تتبع من رغبة الكاتب في عرض جانب من جوانب نشاطه العقلي التحصيلي تجاه موضوع ما من الموضوعات عرضاً موضوعياً ينحي قدر الإمكان شخصية الكاتب وأهواءه الخاصة)⁽⁷⁾ . ومن أنماط المقالة الموضوعية: المقالة النقدية المختصة بتحليل ونقد وتذوق الأدب ، والمقالة الفلسفية المختصة بطرح القضايا الفلسفية أو الحكمية وتحليلها وتفسيرها ، والمقالة العلمية التي تسعى إلى تحليل وتوضيح الحقائق والنظريات بأسلوب علمي محض مجرد من المشاعر والأهواء ، والمقالة السيرية لحياة وأفكار شخصيات بارزة ، أو شخصيات لها أهمية أدبية أو تاريخية .

سيرة أبي حيان التوحيدي (310هـ - 380هـ)

هو علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي نسبة إلى نوع من التمر يسمى التوحيد ويحتمل أن يكون إلى التوحيد الذي هو الدين فالمعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، شيرازي الأصل وقيل نيسابوري ، تفنن في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام وكان معتزلياً يسلك أسلوب الجاحظ في تصانيفه وعرف بأنه شيخ الصوفية فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة . من سماته الذكاء والفطنة والفصاحة وسعة الحفظ والرواية . تشكى من زمانه وبكى في تصانيفه على حرمانه ، أقام ببغداد مدة ومضى إلى الري وصاحب أبا

الفضل بن العميد والصاحب بن عباد فلم يحمدهما وصنف في مثالبهما كتاباً، ومن المؤسف أن التوحيدي أحرق كتبه في آخر عمره لقلّة جدواها . قال ياقوت : وكان يتأله والناس على ثقة من دينه وقال ابن النجار : كان صحيح العقيدة وقال الذهبي : كان سيء العقيدة كذاباً قليل الدين والورع عن القذف والمجاهدة بالبهتان والقذح في الشريعة . وقال ابن الجوزي : زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندي والتوحيدي وأبو العلاء المعري ، وشرهم على الإسلام التوحيدي لأنهما صرحا وهو لم يصرح مات سنة ثلاثمائة وثمانين (8) .

إن الإنصاف يدعونا إلى الدفاع عن عقيدة التوحيدي الذي اتهم بالكفر والإلحاد تلك التهمة التي ألصقت بقسم من شعراء وكتاب العصر العباسي لأسباب عنصرية وطائفية وسياسية لقد (كان أبو حيان حنيفاً مسلماً ما ندّ عن شيء من أصول الإسلام العامة وتهمته بالإلحاد لم تثبت من حال أو مقال لهذا أراني في غنى عن التدليل على ذلك مُحِيلاً قارئى الى ما انطوت عليه مؤلفاته من روح اسلامي قوي) (9) .

ولم يكن التوحيدي موفقاً في علاقته مع الساسة من وزراء وأمراء وأصحاب نفوذ وسلطان ولم يكن مترفاً ميسوراً وفضلاً عن ذلك كله (أتهم في عقيدته وهي تهمة أشد إيلاماً من البؤس وأقسى نكالا من الفقر ، لأنها تبغضه إلى الخاصة وإلى العامة وتلقي على انتاجه غباراً كثيفاً من الشك وتكاد تطوح بمكانته الأدبية والعلمية في عصر لم يكن يحتمل من الزندقة والإلحاد ما يوصف بأنه زندقة وإلحاد وإن كان بريئاً) (10) .

وفضلاً عن ذلك تخلى عنه الجميع فأسمى وحيداً غريباً في مجتمع مادي يجلب الأغنياء وأصحاب النفوذ والسلطان فلقد نفر منه الجميع فأقسم مؤكداً ذلك (والله لربما صليت في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي فإن اتفق فبقال أو عصار أو نداف أو قصاب ومن اذا وقف الى جانبي اسدربي بضنانه واسكرني بننته ، فقد أُمسيت غريب الحال غريب اللفظ غريب النحلة غريب الخلق مستأنسا بالوحشة قانعاً بالوحدة معتاداً للصمت) (11) .

وتعددت عوامل رفض التوحيدي وتكرر الآخرين له لأسباب عدة ف (التكر له من شخصه فيرجع - بما رأيت من سيرته - إلى هيئته المهجّنة ومزّعاته المنقّرة وقره المدقع وحرفته المتواضعة واستجدائه الملح وتردده على الأبواب واختلافه على المجتدين الأدياء الأغرّاب ، إلى الجبن وحب السلامة المستحوذين عليه (...)) أضف إليها شغفه بثلب الناس وسخريته من ذوي الأقدار واستخفافه بالخاصة وتنگره للعامة إلى ضعف حيلته وسوء تأتيه فيما يأتي ويدع من الأمور . ومن هنا انعكست ظلال شخصيته على حقائق أدبه ومشى هوان ذاته على جبروت عقله وآثاره فزهّد الناس فيها لما رغبوا عنه وتكرر الناس لها كما تنكروا له) (12) .

مؤلفات أبي حيان التوحيدي

يمكن حصر مؤلفات التوحيدي بعد الاطلاع على الإشارات الواردة في المصادر القديمة والحديثة وفق الآتي : (1- أخبار القدماء وذخائر الحكماء 2- أخلاق الوزيرين 3- الإشارات الإلهية 4- الإقناع 5- الإمتاع والمؤانسة 6- أنيس المحاضرة 7- أوصاف المجالس 8- البصائر والذخائر 9- التذكرة التوحيدية 10- ترويح الأرواح 11- تصوف الحكماء وزهد الفلاسفة 12- الحج العقلي إذا ضاق الفضاء على الحج الشرعي 13- ذم الوزيرين 14- الرسالة البغدادية 15- رسالة الحياة 16- الرسالة الصوفية 17- رسالة إلى القاضي أبي سهل 18- رسالة عن أبي الفضل بن العميد 19- رسالة في إخبار الصوفية 20- رسالة في الإمامة 21- رسالة في تحقيق أن ما يصدر بالقدرة والاختيار لا بالكره والاضطرار 22- رسالة في تقرير الجاحظ 23- رسالة في الحنين إلى الأوطان 24- رسالة في صلات الفقهاء في المناظرة 25- رسالة في الطبيعيات والإلهيات 26- رسالة في العلوم 27- رسالة في الكلام على الكلام 28- رسالة لأبي بكر الطالقاني 29- رسالة نواذر الفقهاء 30- رواية السقيفة 31- الروض الخصيب 32- رياض العارفين 33- الزلفى 34- الصداقة والصديق 35- عجائب الغرائب 36- كتاب الحجيج 37- كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي 38- كتاب النوادر 39- مثالب الوزيرين 40- المحاضرات والمناظرات 41- المقابسات 42- المناظرة بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متي بن يونس القناني 43- نزهة الأصحاب 44- نشوان المحاضرات 45- نظم السلوك 46- الهفوات لابن الصابي 47- الهوامل والشوامل) (13) .

الفصل الأول : اتجاهات المقالة الموضوعية في كتاب المقابسات

تتضمن كل مقالة فكرة تمثل رؤية الكاتب إلى الإنسان والمجتمع والكون ، والفكرة ركن أساس في هيكل المقالة تمثل بنيتها الفوقية ويجب أن تحتوي المقالة الأفكار السامية التي تصدر من عقل واع وتجارب حقيقية ورؤى عميقة وأحاسيس صادقة فعندئذ يقبل المتلقي على القراءة بشغف مُظهرًا رفضه وقبوله وسروره وحزنه (وكما أن العاطفة ترتد إلى القلب والشعور فكذلك الفكرة أساسها العقل الذي يقوم بتنظيم المشاعر والوعي وفي ظهور منضبط فلا تتحول إلى مجرد انفعالات غير واعية لا ضابط لها) (14) . والأديب المفكر يصور ما حوله بشكل أعمق فهو يرى ما لا يراه الآخرون فكلما كانت الفكرة مثيرة ازداد إعجاب القراء وإقبالهم على القراءة فمن ركائز المقالة الناجحة الفكرة الهادفة التي تثير القارئ فيزداد متعة وفائدة . لقد تنوعت المضامين الواردة في كتاب المقابسات وفق الاتجاهات الآتية :

1- الاتجاه الفلسفي :

نمت بذور الفلسفة وأينعت في العصر العباسي بعد نشاط الترجمة عن اللغات الأخرى ولاسيما اليونانية فضلاً عن التطور في مختلف العلوم والترف والحرية وسعة ثقافة أغلب الخلفاء العباسيين واحتدام الجدل بين الفرق الإسلامية مما أدى إلى توهج الفكر الفلسفي في مختلف القضايا الدينية والنفسية والكونية واللغوية . وكان الفلاسفة المسلمون قد (استعادوا طرق (كذا) اليونان في الاستدلال والاستنتاج ولكنهم في ذات الوقت جددوا موقفهم إزاءها فأبطلوا جانباً واسترضوا جانباً وعارضوا قسماً من آرائهم وتعصبوا لآخر) (15) .

من الموضوعات التي فسرت فلسفياً في كتاب المقابسات حقيقة الصداقة فإنني (سمعت النوشجاني يقول وقد جرى حديث الصديق وحكي في عرضه الحد الذي للفيلسوف وهو : الصديق آخر هو أنت . ويقال الصديق هو أنت ألا إنه بالشخص غيرك . فقال : الحد صحيح ولكن المحدود غير موجود (...)) فقلت له : فعلى هذا ما فائدة هذا الحد ؟ ولم قال الفيلسوف شيئاً لا حقيقة له ولا دلالة عليه ولا يوجد الشاهد أصله ؟ فقال : قد قصد بهذا الحد المبالغة في الحس على توخي الصديق لصديقه حالاً لا يكاد يفصل بينهما في ارادة وإيثار وقصد ومحبة وكراهية ومرضاة فإن هذه الحد إذا لحظ أفقه العلى سلك اليه بالهمة الشريفة والعزيمة التامة والجد البليغ والاجتهاد المستخرج للوسع فيكون لك داعية إلى الغاية التي كلما قرب منها كانت الحال أعني الصداقة إلى الحقيقة أقرب وعليها أشمل وبشرائطها أجمع وعمّا يخالف هذه الصفات أبعد . ثم قال : وكيف يصح هذا الحد في الشاهد والحس والإنسان إن كان وحده لا يلائم نفسه ولا يوافق أبداً رأيه ولعله يترجح وينكفي في كل يوم ، بل في كل ساعة مرارا كثيرة مثل أبي براقش كل لون لونه يتخيل) (16) .

مضمون النص هو حقيقة الصداقة من الناحية الفلسفية ونقد لرأي أرسطو الذي يرى أن صديقك هو أنت من حيث الطباع والصفات والرغبات لكنه غيرك من حيث الهيئة والشكل . أما النوشجاني فلم يتقبل هذا الرأي كله ولم يُسلم به بل حلله ونقده وأضاف إليه فهو يرى أن طبائع الإنسان ليست ثابتة وأراؤه متغيرة بتقدم الزمن كالتطائر المعروف بأبي براقش الذي تتغير ألوانه بعدما ينتفش ريشه وكذلك الأصدقاء يتغيرون في كل ساعة ويوم وسنة وتثبت التجارب صحة ذلك (ولقد تبقى القضايا الفلسفية موضع خلاف وجدل أمداً طويلاً وهذا هو السبب في تعقيد المشكلات الفلسفية وكثرة التناقض بين الفلاسفة فكل مفكر لا يبنى آراءه على ما وصل اليه من سبقه بل يبتدئ غالباً في بحث قضاياها من جديد فيضع لها آراءً وحلولاً جديدة) (17) . وهذا هو السبب في تعدد الآراء الفلسفية وتباينها في العصر الواحد أو في العصور التي بعده ومن الجدير بالذكر ان الفلسفة الإسلامية تناولت (الفكر اليوناني في أول الأمر بالدراسة والتفسير والتعليق إلا أنها أخذت بعد ذلك منحى خاصاً بها يتصف بعدم التسليم بكل ما جاءت به) (18) .

ومن الموضوعات الفلسفية فضيلة العقل والعافية فإنني (سمعتُ عيسى يقول : لو أن الأولين اجتمعوا في سعيد واحد واعتبر كل واحد قوة الباقيين لم يجدوا العقل مصيبين مسهلين ووجدوا شعاعه ونوره وشرفه وبهاءه ونبله وكماله وبهجته وجماله وزينته وفعاله لما بلغوا منه حداً ولا استوعبوا من ذلك جزءاً . قيل له : لم يذكّر الفقر وهو من قبيل الموت ولا الغنى وهو من حيز الحياة ؟ فقال : كل هذه الأشياء بعد الحياة العقل والعافية فروع فإن الإنسان بعقله يصبر على الفقر وبعقله يجتلب الغنى وبعافيته يبلغ الغاية ويكتسب السعادة والعقل في جميع أحواله فيتصرف بثمرة الراحة مرة وبالصبر مرة ويريه الحكمة فيما فشا وسرّ ، ويؤديه إلى السعادة في كل ما أقبل وأدبر ؛ لأن العقل متى حلّ شخصاً أضاءه وأناره ومتى فارق شخصاً كدره وأبأره) (19) .

يؤكد النص فضيلة العقل والعافية فمنهما تنبثق سعادة الفرد لأن عقل الإنسان بتفكيره السليم ينجي صاحبه من الهلاك فيجني ثمار السعادة وقد فضل الله تعالى الإنسان على المخلوقات كلها بالعقل لأعمار الأرض ونشر الخير والفوز في الآخرة ومن اختل عقله فقد عافيته وفقد الناس اجمعهم والعقل يكتسب الخبرات من خلال التجارب والصبر والاطلاع والنظر والمقارنة وبالعقل تستقيم الأفعال وتتنزّل الأقوال وينتهي الفرد لما ينوي فعله بتأن وحكمة (إن الله جلت قدرته أعطانا العقل لنبلغ به المنافع العاجلة والآجلة في دنيانا وآخرتنا وهو أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا ، بالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق وبه أدركنا جميع ما يسمو بنا ويحسن حياتنا وبه نصل إلى بغيتنا ومرادنا وبه أدركنا العلوم النافعة والصناعات المفيدة والأمور الغامضة البعيدة وبه وصلنا إلى معرفة الباري جلت قدرته) (20) . أما علة فضل العقل وقيمتها فنكمن في إنقاذه الإنسان من الزلل والخطأ فحياة بلا عقل ستسودها الفوضى والخراب وجسم بلا عقل تضطرب أفعاله ويختل سلوكه فهو (وظيفيا جهاز السيطرة الرئيس المنظم لعمل أجهزة الجسم وهو المنتج للمعرفة ولكن هذا لا يعني أن العقل كائن مطلق وخرافي يسكن آلة ghost كما يقول لنا ديكارت وإنما عمل العقل محكوم بعوامل عديدة منها بيولوجية وأخرى ثقافية واجتماعية) (21) .

ووردت حكم عديدة في الكتاب كما في المقابسة التي أوضح فيها العامري بعضاً من التعاريف الفلسفية إذ (يقال : ما العلم ؟ الجواب : هو وجدان النفس المنطقية الأشياء بحقائقها . يقال : ما الحكمة ؟ الجواب : هي حقيقة العلم بالأشياء القائمة ووضع كل شيء في موضعه الذي يجب أن يكون فيه الوضع فقط (...)) يقال : ما المكان ؟ الجواب : هو حيث التقى الاقنآن ، المحيط والمحاط به وأيضاً هو ما بين سطح الجسم الحاوي وانطباقه على الجسم المحوي . يقال : ما الزمان ؟ الجواب : هو مدة تعدها الحركة ثابتة الاجزاء . يقال : ما الجرم ؟ الجواب : هو ماله ثلاثة أبعاد : طول وعرض وعمق . يقال : ما الكثرة ؟ الجواب : هي انفصال الهيولي بأقسام

كثيرة عظيمة القدر . يقال : ما الملازمة ؟ ، الجواب : هي إمساك نهايات الجسمين بجسم ثالث بينهما . يقال : ما الاجتماع ؟ الجواب : هو حال تقارب الأجسام بعضها من بعض والافتراق تباعدها (...) يقال : ما الشجاعة ؟ الجواب : هي قوة مركبة من العز والغضب تدعو إلى شهوة الانتقام ، والجبن ضده . يقال : ما الفرح ؟ الجواب : هو انبساط النفس من داخل الى خارج على المجرى الطبيعي والخوف ضد ذلك (...) يقال : ما الحقد ؟ الجواب هو غضب يبقى في النفس على وجه الدهر : يقال : ما الغضب ؟ الجواب هو غليان دم القلب لشهوة الانتقام⁽²²⁾ .

تتجلى تعريفات فلسفية كثيرة في النص فلقد تم تعريف العلم والمكان والزمان والجرم والكثرة والاجتماع والشجاعة والفرح والحقد والغضب بأسلوب علمي يتسم بالدقة . ويعج الكتاب بالموضوعات الفلسفية كالحركة والسكون (أما عند الحس فالحركة أقدم وأما عند العقل فالسكون أقدم وبعد فالسكون عدم الحركة ، وكل حس فقوامه بالحركة وكل عقل فصورته بالسكون ونظامه بالهدوء)⁽²³⁾ ، والمعقول والمحسوس (فأما المحسوس البحت فما للبهيمة وما يجري في حكمها وأما المعقول المحض فما للفلك بأسره وأما المحسوس المعقول فما يتخيله الانسان الذي لم يصف بعد وأما المعقول المحسوس فما يدركه النظر بالبحث)⁽²⁴⁾ ، والموجود هو (على ضربين موجود بالحس وموجود بالعقل ، ولكل واحد من هذين الموجودين وجود بحسب ما هو به موجود إما حسي وإما عقلي . فعلى هذا النفس لها عدم في أحد الموجودين وهو الحسي ولها وجود في القسم الآخر وهو العقلي)⁽²⁵⁾ . وصور الحركة التي تكون واحدة (لكنها توجد في مواد كثيرة ومحال مختلفة وبحسب ذلك تولى أسماء مختلفة وقد يظن من أجلها أنها في نفسها ليست واحدة وأن لها أخوات ونظائر والبحث الفلسفي قد قرن واحدة بواحدة على ما دل الاسم عليه في الأصل وذلك أنه يقال الحركة كون وفساد ونمو ونقصان واستحالة وإمكان وإنما تباينت هذه الأسماء لمعان تحققت في النفس بالاعتبار الصحيح ، فالحركة في النار لهب وفي الهواء ريح وفي الماء موج وفي الأرض زلزلة (...) ثم إن الحركة بعد ذلك في العين طرف ، وفي الحاجب اختلاج ، وفي اللسان منطق ، وفي النفس بحث ، وفي القلب فكر وفي الانسان استحالة وفي الروح تشوف وفي العقل إضاءة واستضاءة وفي الطبيعة كون وفساد)⁽²⁶⁾ .

ولم يقبل التوحيدي الآراء والأفكار الواردة عن الفلاسفة دائماً بل رفض قسماً منها عندما سمع القول الآتي : (دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر يقطعان الفلك في كل يوم وليلة مرتين . وكان هذا من آرائه التي تفرّد بها ، ولم أجد أحداً يوافقه على شيء منها وخاصة هذا الرأي ، ولأنه ليس لنا في هذه الصناعة مدخل ولا منفذ لم نقصد الرد عليه ولكننا عجبنا من مخالفته الاوائل الذين قد أقاموا البرهان على خلاف دعواه والصناعة برهانية فليت شعري أي برهان قام له على هذه الدعوة ؟)⁽²⁷⁾ .

يحق لنا القول بعد ما عرضنا قسماً من النصوص الواردة في المقابسات ان ملامح المقالة الفلسفية واضحة فيها فهي (تؤرخ للأفكار الفلسفية التي كانت منتشرة في الدوائر الثقافية ببغداد نموذجاً للعالم العربي الاسلامي وأن فلسفة التوحيدي مبثوثة في طاويها نصاً وتعليقاً واختياراً لمجمل تلك الافكار وعلاوة على هذا وذاك يجب أن نلاحظ في اثناء متابعتنا لهذا المنهج في تحليل النصوص ان للمعلومات المتناثرة في مطاوي المقابسات قيمة كبيرة في إعادة فحص مجمل الحركة الفكرية في القرن الرابع الهجري⁽²⁸⁾ . لقد احتوى الكتاب على الكثير من القضايا الفلسفية الشائكة التي دارت بين الفلاسفة وكان للتوحيدي الدور الرئيس في تلك المجالس فظهر فيها محلاً ومتسائلاً ومناقشاً وناقلاً ومقارناً وبعد الاطلاع والتقصي (نلاحظ ان كتاب المقابسات سجل للأفكار الفلسفية بالدرجة الأولى فهو كتاب يحمل على كتب الفلسفة بالمعنى الدقيق لكلمة فلسفة أما كتبه الأخرى التي وجدنا فيها الكثير من الملاحظات الفلسفية والاتجاهات الفلسفية والأفكار الفلسفية فهي ممتزجة بالأدب والتاريخ وغيرهما)⁽²⁹⁾ .

2- الاتجاه النفسي :

من الموضوعات الواردة في الكتاب حقيقة الضحك والغضب فلقد (سألت أبا سليمان عن الضحك ما هو ؟ فأملى فقال : الضحك قوة ناشئة بين قوتي النطق والحيوانية ، وذلك أنه حال للنفس باستطراق وارد عليها ، وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهة وذلك الاستطراق إنما هو تعجب والتعجب هو طلب السبب والعلّة الأمر الوارد ، ومن جهة تتبع القوة الحيوانية عندما تتبع من النفس فإنها إما أن تتحرك إلى داخل وإما إلى خارج فإما أن يكون دفعة فيحدث منها الغضب وإما أولاً وأولاً باعتدال فيحدث السرور والفرح . فإما أن تتحرك من خارج الى داخل دفعة فيحدث منها الخوف وإما أولاً فأولاً فيحدث منها الاستهزال وإما أن تتجاذب مرة إلى داخل ومرة إلى خارج فيحدث منها أحوال أحدثها الضحك)⁽³⁰⁾ .

يتضمن النص تحليلاً لعمليتي الضحك والغضب وكيفية تكونهما فالضحك انفجار يتشظى من داخل النفس والجسد إلى الخارج فتصعبه راحة ونشوة واحمرار الوجه أما الغضب فعلى النقيض من ذلك (فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن وصار الحادث على الغضب السطوة والانتقام لبروزه ، والحادث عن الحزن المرض والاسقام لكونه ولذلك أفضى الحزن إلى الموت ولم يفض إليه الغضب)⁽³¹⁾ .

ومن القضايا النفسية السر وعلة ظهوره وشيوعه إذ سأل التوحيدي أبا سليمان (ما السبب في أن السر لا ينكتم البتة ؟ فقال : لأن السر اسم لأمر موجود قد ضرب دونه حجاب وأغلق عليه باب فعلية من الكتمان والطّي والخفاء والستر مسحة من القدم ، وهو مع ذلك موجود العين ثابت الذات محصل الجوهر فباتصال الزمان وامتداد حركة الفلك يتوجه نحو غاية هي كماله فلا

بد له إذا من النمو والظهور لأن انتهاءه أليها ووقوفه عليها ولو بقي مكتوماً خافياً أبداً لكان والمعدوم سواء وهذا غير سائغ أعني أن يكون الموجود معدوماً (...) وممر أيضاً في كلامه أن الحجاب المضروب على هذا السر يرث ويخلق لأنه لا يبقى على هيئته الأولى يوم يقع سرا ويحدث مكتوماً (32) .

يتجلى في النص التفسير النفسي لا فشاء السر فهو كامن في اللاشعور وبمرور الزمن ينمو ويظهر لأنه موجود غير مخفي . ولعمري أن من أصعب الأمور كتمان السر لذلك حذر الحكماء من إفشاء الأسرار (واعلم أن أمناء الأسرار أقل وجوداً من أمناء الأموال وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار لأن إحراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال وإحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال فإن الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وأن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الإثقال فإذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملاً ثقيلاً (33) .

إن محور النص السابق هو بيان علة ظهور السر فلقد فسرّه أبو سليمان تفسيراً نفسياً بعدما سأله التوحيدي عن علة ظهور الأسرار وعند تمعن نصوص الكتاب بدقة ستلاحظ أن (أبا حيان لم يكن كاتب ضبط أو سكرتير لتلك المجالس في بغداد بل كان عضواً فعالاً فيها له رأيه وحواره وتساؤله وتوجيهه للأفكار) (34) .

إن التطور الحاصل في مختلف مجالات العلوم ولاسيما علم النفس اسهم في تطور الفلسفة (واعتقد أن سبب تخطيط الفلسفة في مجاهل الفلسفة طيلة القرون الكثيرة السالفة هو ضحالة علمهم بعلم النفس وفلسفتها ولو أنهم كرسوا بعض جهودهم من قديم الزمان على حل مشاكل النفس لا نحل الكثير من مشاكل الفلسفة ولا أقول كلها ولا صبحنا على جانب كبير من المعرفة الفلسفية وإن عدم العناية بهذا العلم وفلسفته من قبل الفلاسفة الأوائل وفلاسفة القرون الوسطى والمحدثين وحتى المعاصرين هو سبب جمود الفلسفة وعدم تقدمها) (35) .

3- الاتجاه الأخلاقي :

يستحيل بناء مجتمع متطور من دون غرس القيم الأخلاقية في نفوس أفرادهم وتهذيبهم وتوجيههم نحو الجوانب الفضلى والعليا ؛ لأن الإنسان يطمح الى الكمال دائماً و (الإنسان كائن أخلاقي ترتبت عليه مسؤولية حمل القيم التي أوجدها الله على الأرض لتستقيم الحياة وتستمر بشكلها الصحيح وقد أصبح موضوع الأخلاق فرعاً مهماً من فروع الفلسفة الكونية يبحث في المقاييس التي يمكن بواسطتها التمييز بين الخير والشر في سلوك الإنسان) (36) .

من الموضوعات الواردة في كتاب المقابسات تقويم الأخلاق فالواجب على الفرد أن يهذب سلوكه ويبدأ بنفسه قبل غيره وقد شاهدنا من يمدح الجود ويحث عليه ويحسنه ويدعو إليه وهو أبعد الناس من العمل به والقيام بحكمه (...)(وكان أبو سليمان يقول : كثير من أخلاق الإنسان تخفى عليه وتطوى عنه وذلك جلي لصاحبه وجاره وعشيرته وهو يدرك أخفى من ذلك على صاحبه وجليسه ومعامله وقريبه وبعيده وكأنه في عرض هذه الأحوال عالم جاهل ومتيقظ غافل وجبان شجاع وحليم طائش يرضى عن نفسه في شيء هو المغتاض على غيره من أجله).

(37)

إن مغزى النص هو تقويم الأخلاق وتهذيب السلوك إذ يستطيع الإنسان - إن أصر - تحسين أخلاقه ويبين النص أن الكثيرين يفعلون نقيض ما يقولون ولكن هذا الأمر يخفى عليهم ويتضح لغيرهم ويستطيع القارئ المتفحص استكشاف الجوانب الخلقية النبيلة في كتاب المقابسات ومهمة الفرد في المجتمع وكيفية إصلاحه (وليست النبرة الصوفية التي تغطي على بعض نصوص المقابسات سوى مجرد صبغة روحية أراد لها أبو حيان أن تكون بمثابة الغلاف الخارجي أو القشرة السطحية لبعض آرائه الجزئية في النفس البشرية والأخلاق الإنسانية) (38).

وتضمن الكتاب كلاماً في تهذيب الأخلاق وإصلاح النفس عن طريق الالتزام بجملته من الأمور مثل (إيثار الخير على الشر في الأفعال والحق على الباطل في الاعتقادات والصدق على الكذب في الأقوال ... والتمسك بالشرعية ولزوم وظائفها وحفظ المواعيد حتى انجازها وأول ذلك ما بيني وبين الله عز وجل وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال ومحبة الجميل لأنه جميل لا غير ذلك والصمت في أوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل ... والإقدام على كل ما كان صواباً والإشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره وترك الخوف من الموت والفقر بعمل ما ينبغي وترك الدنيا وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقالتهم والانفعال لهم وحسن احتمال الغني والفقر والكرامة والهوان بجهة وجهة وذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور والرضى عند الغضب ليقبل الطغي والبغي وقوة الأمل وحسن الرجاء والثقة بالله تعالى وصرف جميع البال إليه فإذا يسر الله تعالى إصلاح نفسه بما جاهد عليه تفرغ بعد ذلك إلى إصلاح غيره وعلامة ذلك أنه لا يبخل على أحد بنصيحة) (39).

تتعدد في النص الوسائل المتبعة لتقويم الأخلاق مثل ضبط النفس والإكثار من الفضائل ومخالفة الأهواء كالشر والكذب والباطل ثم تطبيق الشريعة والالتزام بالمواعيد والصمت والاستعداد للموت بالعمل الصالح والصبر على مرارة الفقر وتذكر الإسقام والمنية فغرض النص الاستقامة الخلقية وكبح الشهوات التي توقع في الخطايا فإن مضمون الفكرة مقتبس من الشريعة الإسلامية (وقد طور الفلاسفة الإسلاميون نظاماً أخلاقياً لا يستند إلى الأخلاق النسبية فقط بل إلى تعاليم الإسلام أيضاً). في الأخلاق الإسلامية لا تظهر الإرادة الإلهية بطريقة مجردة بل في وصايا

ملموسة تضمنها الشريعة تساعد هذه الشريعة الذكاء الإنساني في التغلب على القيود التي فرضتها الأهواء عليها ورؤية طبيعة الأشياء الخيرة والشريرة في منظورهما الحقيقي⁽⁴⁰⁾ ، ومن الجدير بالذكر أن الأخلاق في شريعة الإسلام مستوحاة من خالق الكون والإنسان وهو الله تعالى ومن كتابه المبين وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . إن مشكلة الأخلاق - الخير والشر - (قائمة حتى الآن بالرغم من تطور العلوم والفنون وسبب ذلك على ما اعتقد هو أنها وضعت في زمن لم يكن فيه علم النفس من القوة كما هو عليه الآن)⁽⁴¹⁾ .

4- الاتجاه الديني :

من الموضوعات الدينية الواردة في كتاب المقابسات البعث والنشور فقد نقل التوحيدي ما سمعه قائلًا : (سمعت مقدار يقول لو انتهى غرض من تقدس وعلا في الانسان مع هيئته المعروفة وحليته المألوفة ، الى أن يموت ثم لا يكون له بعث ولا نشور ولا معاد ولا منقلب لما كان ذلك قادحاً في الوهيته ولا متحيفاً لطرف من اطراف حكمته ولا معاندا لما يليق بربوبيته فكيف وقد نصب العلامات واحكم الشواهد والبيانات واقام البرهان والآيات على تحقيق المعاد وحصول السعادة والشقاء)⁽⁴²⁾ .

يتجلى الغرض الديني للنص في الجانب العقائدي وهو الأيمان بوجود الله حتى لو لم يكن هنالك بعث ونشور لعظمة التعاليم الدينية وصحتها ودقتها وعظمة الخالق عز وجل وكماله . يقول باحث : (في العصر الأول للإسلام لم تكن هناك حاجة للفلسفة خاصة إذا علمنا أن اتصال المسلمين بعلوم الغير كان متأخراً ولم تنتشر الفلسفة إلا بعدما احتك المفكرون المسلمون بعلوم وثقافات وحضارات الامم الاخرى خاصة حضارات الإبداع الفلسفي فكان أن قبلته عقولهم إلا أنهم وقعوا في اشكالية إلزامية التوفيق بين الفلسفة والدين مما أثمر نتاجاً فلسفياً ذا سمة خاصة فاصطبغت الفلسفة بالصبغة الإسلامية)⁽⁴³⁾ .

ومن الموضوعات الدينية الواردة في الكتاب الأرزاق وتقسيمها بين الناس بقدر من الله تعالى وحكمته فإن (الحائك لا يزرع القطن والخياط لا ينسج الثوب ، والخباز لا يذبح الشاة والعطار لا يدبغ الجلد والزفان لا يضرب بالعود ولو أمكن لفعل كل واحد جميع ذلك وكان الإنسان يكمل بوفائه بكل شيء وإتمامه لكل شيء وبالواجب خالف حكم الحس حكم العقل في المعقول)⁽⁴⁴⁾ . فيا ترى ما سر هذا التباين في الأرزاق ؟ وما الحكمة من ذلك ؟ الجواب هو لو (تساوى حينئذ جميعهم لم يجد احدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلاً وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا فيذهبوا ضيعة ويهلكوا عجزاً وأما إذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين بالمعونة متواصلين بالحاجة لأن ذا الحاجة وصول والمحتاج إليه موصول)⁽⁴⁵⁾ .

5- الاتجاه النقدي لقضايا الأدب والبلاغة واللغة :

وردت الموضوعات النقدية لقضايا اللغة والأدب والبلاغة في كتاب المقابسات عندما سأل التوحيدي أبا سليمان : (فلم لا يطرب النثر كما يطرب النظم فقال : لأننا منتظمون فما لاءمنا أطربنا وصورة الواحد فينا ضعيفة ونسبتنا إليه بعيدة ، فلذلك إذا أنشدنا ترنحنا ، هذا في أغلب الأمر وفي اعم الأحوال ، أو في أكثر الناس وقد نجد عند فصل منشور ، ومما يهدي لهذا الذي نصرناه والمعنى الذي اجتبيناه أن الكتب السماوية وردت بألفاظ منشورة ومذاهب مشهورة حتى أن من أصطفي بالرسالة في آخر الأمر غلبت عليه تلك الوحدة) (46) .

ومن الموضوعات النقدية الصدق والكذب في الأدب وجمال البلاغة العربية قال أبو سليمان : (ذلك الكذب قد ألبس لباس الصدق وأعير عليه حلة الحق ، فالصدق حاكم وإنما رجع معناه إلى الكذب الذي هو مخالف لصورة العقل الناظم للحقائق المذهب للإعراض المقرب للبعيد المحضر للقريب فقلت لأبي سليمان : فهل بلاغة أحسن من بلاغة العرب ؟ فقال : هذا لا يبين لنا إلا بأن نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق ، ثم نضع القسطاط على واحدة واحدة منها حتى نأتي على آخرها وأقصاها ثم نحكم حكماً بريئاً من الهوى والتقليد والعصبية والمين وهذا ما لا يطمع فيه إلا ذو عاهة ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من أهلها أعنى من أفاضلهم وبلغائهم فعلى ما ظهر لنا وخيل ألينا لم نجد لغة كالعربية وذلك لأنها أوسع مناهج مخارج وأعلى مدارج وحروفها أتم وأسمؤها أعظم ومعانيها أوغل ومعارضها أشمل ولها هذا النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا وصحب أذهاننا من كلام أجناس الناس) (47) .

تتضح هنا عمق الرؤية النقدية في موضوع الصدق والكذب ، وحقيقة التعبير الأدبي الذي يجسد صدق الأديب وإخلاصه في التعبير عن المشاعر والأفكار كما يتجلى جمال اللغة العربية وسموها وعظمتها من خلال الرؤية النقدية العميقة .

ومن الموضوعات الواردة في الكتاب النحو واللغة فلقد (سألني أبو سليمان يوما عن الطبيعة وقال : كيف هي عند أهل النحو واللغة ؟ أهى فعلية بمعنى فاعلة ، أو بمعنى مفعولة؟ قلت له : أكره أن ارتجل الجواب عنها ، لعلني أدفع فيه إلى الاعتذار منه وأنا أسأل شيخنا أبا سعيد السيرافي غدا إن شاء الله وهو اليوم عالم العالم وشيخ الدنيا ومقنع أهل الأرض فقال : إنه كذلك اجعله منك على بال وتلطف في تحصيل ما عنده أجمع في هذه المسألة . فسألت أبا سعيد عنها فقال : هذا من قبيل الأسماء المحضة لا من قبيل الأسماء المشوبة فلا يقال لذلك إنه فاعيل بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر ولا يقال إنه فاعيل بمعنى مفعول كذبيح بمعنى مذبح ولكن يقال هو فعل في أصله كجبير وأثير ومع هذا فمعنى الفعل به أقرب من معنى الفعل منه ولفعيل اسرار ووجوه وقد كان بعض الناس زل فيه عند بعض الأمراء وإذا لم يكن بد من اعتباره على

طريقة هذا السائل فلأن يكون بمعنى مفعول أولى وذلك أنا نقول : طباعه كذا وكذا وطبيعته أي ما طبع عليه وبمعنى فعل والمفعول فيه أبين وأخواته يدللن على ذلك أعني الضريبة والسليقة والسجية والغريزة والنحيزة (48) .

لقد مثل القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه التوحيدي فترة ذهبية لعلوم اللغة والبلاغة بسبب التفاعل والامتزاج مع ثقافات الأمم الأخرى فظهرت الحاجة إلى تثبيت قواعد اللغة وكان العامل الرئيس هو الحفاظ على لغة القرآن الكريم ف (إن أولى المحاولات الفكرية الجادة في تاريخ الفكر العربي الإسلامي انصرفت باتجاه تعويد اللغة العربية ومبررات ودوافع هذه المحاولات معروفة ويكاد يتفق عليها مؤرخو الفكر العربي الإسلامي منها شيوع اللحن والخوف على العربية وهي لغة القرآن من التشويه وكذلك حاجة الشعوب الجديدة إلى تعلم اللغة العربية) (49) .

6- الاتجاه السياسي :

لم يخل كتاب المقابسات من السياسة وهو أمر يتطلب الجرأة والشجاعة لما فيه من رفض ونقد وتقويم للسلطة (فالتوحيدي لم يكن قط أديبا منطوياً على نفسه وسط برجه العاجي منغمساً انغماساً كلياً في المباحث العلمية والتأملات الفكرية الصرف أسير المجردات والتخمينات النظرية منقطعاً عن مجتمعه منسلخاً عن محيطه بل كان على العكس متجذراً فيه قوي الانتماء إليه إلى حد الاعتزاز والنخوة متحمساً منتصراً له وكان لا ريب لإيمانه واعتداده بالفعل يرى في الاهتمام بالسياسة اهتماماً حراً مسؤولاً طمعاً في مكسب أوجه ومنزلة يرى فيه جزءاً رئيسياً من مهمة المفكر الأصيل) (50) .

من الموضوعات السياسية الواردة في الكتاب : (السلطان في تدبير الرعية كالشمس في تفصيل الأزمان والجند كالرياح في التلقيح والعلماء من الجميع كالنبت والحيوان والعلوم في نقل الأمور كالأرض في حمل الأنام وما يكون منه منافع الإنسان) (51) . وقال في موضع آخر : (من ملك حقيق أن يُحصن عقله من العجب ووقاره من الكبر ، وعفوه من تعطيل الحدود) (52) .

ترتكز الفكرة في النصين على دعائم الحكم العادل التي تتكون من سلطان صالح وجند أوفياء وعلماء مبصرون ورعية مخلصه ، ومن سمات الملك العادل التواضع وإقامة الحدود لإصلاح الرعية والامتثال بالطاعة واتباع الكاتب أسلوب التلميح ومن أراد نصيح الملك ف (ليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خرق حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك ولكن يضرب له الأمثال ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه) (53) . لقد ضمن التوحيدي كتابه الآراء السياسية ليفيد منها العامة والخاصة من أفراد الشعب و(ليس بغريب أن يهتم التوحيدي بتسجيل ملاحظاته عن الآراء السياسية في عصره ممثلة في تعبيرات مأخوذة في أساسها عن مؤثرات فارابية خالصة) (54) .

تلك كانت ابرز الأفكار الواردة في كتاب المقابسات ويطغى عليها الطابع الفلسفي واحتوت مضامين عدة تتسم بالتنوع والجدة في بعض منها و(ليست الجدة في الفكر شرطاً لارتفاع القيمة الادبية وليس عتقها مما ينال من هذه القيمة لأن الأدب غير العلم) (55) .

الفصل الثاني: الملامح الفنية للمقالة في كتاب المقابسات

1- التصميم :

أ. العنوان :

يعد العنوان مفتاحاً يجتاز به المتلقي أبواب النص ليطلع على بنيته الفوقية وما تحويه من أفكار لاسيما إذا كانت العلاقة بينه وبين المدلول موحية والعنوان هو الحلقة الأولى التي تربط المتلقي بالنص ويحقق وظائف عدة منها (وظائف شكلية وجمالية ودلالية تعد مدخلاً لنص كبير كثيراً ما يشبهونه بالجسد رأسه هو العنوان) (56) .

يتكون الكتاب من مئة وست مقابسات تحتوي كل منها عنواناً يتكون من مقطعين الأول مركزي والثاني فرعي . العنوان المركزي باسم مقابسة وأما العنوان الفرعي فيحمل دلالة المقابسة ومضمونها . وردفي مقدمة الكتاب (لم يبق من يرضى هديه أو يقتبس علمه أو يُخطب عرفه أو يقتفى جوده) (57) . فالمقابسة المقصودة إذن مصدر قبس ، والفعل يعني الأخذ والاستفادة والتعلم . لقد اقتبس التوحيد من المجالس التي كان يقيمها المفكرون في عصره من فلاسفة ونحاة وغيرهم ثم قام بتدوينها في كتابه المقابسات ويعمل ذلك قائلاً : (وليس القلم كاللسان ولا الخط كالبيان ولا ما يذهب مع الأنفاس كما يبقى وسمه بين الناس فهذا وأشباهه يقص جناح العزم ويغض طرف النشاط (...)) قال لي بعض من أثق بخلته وأستنير بمشورته واستقبل مقاصدي برأيه : ينبغي أن تتأتى لعمل ما أهلك فلان له وشرفك به وتخف إلى مراده وتعلم أن ائتمارك لأمره رشد وأثرة وجمال وزينة وليس في فرش فضائل هؤلاء المشايخ ونقل كلامهم عليك مؤنة ولا مشقة فادحة ولا كلفة شديدة) (58) .

ويشتمل العنوان في كل نص على مبتدأ محذوف ، وخبر له مثل : مقابسة في تطهير النفس ومقابسة في علم النجوم ومقابسة في أن الإنسان قد يجمع أخلاقاً متباينة ومقابسة في الناموس الإلهي (59) . فالمبتدأ محذوف تقديره هذه ومقابسة خبر وما بعدها شبه جملة متعلق بالخبر يوضح دلالة النص .

لا نرغب في الغالب بقراءة كتاب أو نص دونما عنوان يثير انتباهنا وإحساسنا وعقلنا فنطّلع عليه أولاً وإذا ما أعجبنا فسنقرأ بشغف فهو الباب الذي تمر من خلاله العملية الأولى للقراءة (فالعنوان فضلاً عن شعريته ربما شكل حالة جذب وإغراء للمتلقي للدخول في تجربة قراءة

النص أو حالة جذب وإغراء للمتلقي للدخول في تجربة قراءة النص أو حالة صد ونفور ومنع)⁽⁶⁰⁾ . ومن سمات العناوين في كتاب المقابسات القصر والوضوح .

ب. الاستهلال :

يشكل الاستهلال الخطوة الأولى في المقالة ونقطة انطلاقها فقد يبدأ الكاتب بفعل أو باسم أو بحرف ليصل . والبداية قد تكون أصعب من النهاية لذلك قيل عن الاستهلال هو الأكثر (خطورة فهو أشبه ما يكون النواة المخصبة تلك التي ستتحوّل خلال العملية الإبداعية إلى جنين ومن ثم إلى كيان متكامل)⁽⁶¹⁾ .

يستهل قسم من النصوص في كتاب المقابسات بالفعل - سمعتُ - يقول التوحيدي (سمعتُ أبا سليمان يقول : نحن نساق بالطبيعة إلى الموت ونساق بالعقل إلى الحياة)⁽⁶²⁾ و(سمعتُ أبا سليمان يقول : من التمس الرخصة من الإخوان عند المشورة ومن الفقهاء عند الشبهة ومن الأطباء عند المرض أخطأ الرأي)⁽⁶³⁾ ، و (سمعتُ أبا سليمان يقول : نحن نساق بالطبيعة إلى الموت ونساق بالعقل إلى الحياة)⁽⁶⁴⁾ .

يدل الفعل سمعتُ على تلقي الخبر عن طريق الاستقبال والتذكر بعد السماع تأثراً برواية الحديث الشريف و (نلاحظ أن التوحيدي اعتمد طريقة السماع في 69 مقابلة أيما يساوي ثلثي مجموع المقابسات . 106 تقريباً فكانت هذه الروايات محصورة في 23 شخصية من مفكري القرن الرابع الهجري والمدّش هنا ان حصة أبي سليمان السجستاني لوحده 31 مقابلة بينما توزعت المقابسات الباقية من هذا النوع وهي 38 مقابلة على 22 شخصية جاءت الروايات عنهم في الحد الأعلى 5 مقابسات وفي الحد الأدنى مقابلة واحدة)⁽⁶⁵⁾ .

وقد يستهل التوحيدي نصوصه بالمحاور (فإذا كان أبو حيان سامعاً لرواية أو حديث في المقابسات التي مصدرها السماع دون أن يكون له فيما يذكره لنا غير فضيلة الاستذكار وتسجيل ما يستذكره فإنه في مجال المحاور ينقل لنا محضر لمناقشة يكون هو نفسه في الأساس طرفاً فيها)⁽⁶⁶⁾ ويتخذ هذا الاستهلال أفعالا عدة كالفعل قلت مثل : (قلتُ لأبي سليمان يوماً : لم لم يصفُ التوحيدي في الشريعة من شوائب الظنون)⁽⁶⁷⁾ .

و (قلتُ لأبي سليمان : أني أجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبية ومشابهة قريبة ، وعلى ذلك فما الفرق بينهما ؟)⁽⁶⁸⁾ والفعل سألت مثل (سألت أبا سليمان عن البلاغة ما هي وقلت : أحببتُ أن أعرف قولاً على نهج هذه المطابقة لأن لهم كتاب الخطابة في عرض كتاب الفيلسوف وقد بحثوا عن مراتب اللفظ واللفظ وطبائع الكلمة والكلمة)⁽⁶⁹⁾ .

وقد يستهل التوحيدي نصوصه بالأمالي فيبدأ بالفعل (أملى) كقوله : أملى عليّ أبو سليمان فيما أملى : السلب هو نفي شيء من شيء والإيجاب هو إثبات شيء لشيء)⁽⁷⁰⁾ .

ومن سمات الاستهلال في النصوص السابقة القصر والتكرار وعدم مناسبتها لطول النص .

ج. العرض :

وهو القسم الأهم في المقالة ؛ لأنه خلاصة المضامين والآراء أو النقد والتحليل و (يتضمن الفكرة التي سيعالجها مدافعاً عن رأيه ومعارضاً رأي من يخالفه مقدماً الحجج والبراهين أو النتائج التي يتوقعها محاولاً إقناع القراء واستمالتهم إلى جانبه متدرجاً في ذلك من العام إلى الخاص أو بالعكس) (71) .

يتجلى العرض في تبيان قيمة العلم في المقطع الآتي : (ومن عُرِّي من العلم ولزم العمل كان كخابط عشواء ما يفوته أكثر مما يجده وما يفسده أكثر مما يصلحه (...)) ، والعلم مبلغ إلى الغاية التي لا مطلوب ورائها والعمل مهيء لك نحو المسلك إلى سعادتك والعلم بك على سعادتك والعمل يوصل والعلم وصول ، والعمل حق عليك لا بد من أدائه والعلم حق لك لا بد لك من اقتضائه) (72) .

يتبين في العرض أهمية العلم والعمل بعد تبيان فضلها والمقارنة بينهما .

وقد يتضمن العرض المقارنات مع إدلاء الحجج والبراهين كالمقارنة بين النحو والمنطق إذ (النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي وجل نظر المنطقي في المعاني وإن كان لا يجوز له الإخلال بالألفاظ التي هي لها كالحلل والمعارض وجل نظر النحوي في الألفاظ وإن كان لا يسوغ له الإخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والجواهر ألا ترى أن المنطقي يقول بخبر وهو يفعل ، والنحوي فيما خلاه اللفظ ؟ ونظائر هذا المثال شوائع ذوائع في عرض الفين والنظرين أعني المنطق والنحو ، وكما أن التقصير في تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط فكذلك التقصير في تحرير المعنى ضار ونقص وانحطاط وحد الإفهام والتفهم معروف وحد البلاغة والخطابة موصوف والحاجة إلى الإفهام والتفهم على عادة أهل اللغة أشد من الحاجة إلى الخطابة والبلاغة لأنها متقدمة بالطبع والطبع اقرب إلينا والعقل أبعد) (73) .

ويلاحظ إن العرض يحتل حيزاً كبيراً من النص لما فيه من سرد الأفكار والآراء كما ويلاحظ في النصين السابقين العرض العلمي المتسلسل المسند بالبرهان والحجة والخالي من النزعة الذاتية لأن المقالة الموضوعية تخاطب العقل (والمقالة الأدبية تختلف عن المقالة الموضوعية أو العلمية التي تعني بتجلية موضوعها وعرض الأفكار والحقائق بأسلوب علمي لا علاقة له بشخصية الكاتب أو مواقفه من موضوع المقالة) (74) .

د. الخاتمة :

وهي المقطع النهائي في التي تمنح القارئ إحساسا بالقبول والقناعة أو بالرفض والسخط لتصبح (ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت فلا بد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض ، واضحة صريحة ، ملخصة للعناصر الرئيسية المراد إثباتها ، حازمة تدل على افتتاح وتعيين لا تحتاج إلى شيء آخر لم يرد في المقالة) (75) .

تتسم الخواتم في كتاب المقابسات بالقصر وعدم مناسبتها لطول النص وتشابهها وتكرار الصيغ الواردة فيها كما في المقطع الآتي: (وهذا قدر كخالصة مما وقع التفاوض به، سقته على ما أمكن والحمد لله وحده) (76) .

وقد تختتم المقابلة بكلمة (والسلام) وهو الشائع في الكتاب كما في قول التوحيدي : (والنحو كيل بصاغ اللفظ ؛ ولهذا قيل في النحو الشذوذ والنادر ورديء المنطق ما جرى مجراها هذا ما استدف من قوله وهو باب مفتوح يمكن أن يقال فيه من هذا الجنس ما يكون شاهداً لما قال (والسلام) (77) ، وقوله : (وقد اتفقت آراء الأوائل كلها على إصلاح السيرة وتصحيح الاعتقاد والسعي فيما أثمر وأجدى والإعراض عن كل ما شغل البال وأثار الشهوة لتبلغ النفس غايتها وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس في هذا العالم ولا تردد على ما قد خوّف من ذلك كثير منهم (والسلام) (78) ، وقوله : (والله المستعان في كل ما عز وهان فليكن هذا مقنعاً إن لم يكن شافياً (والسلام) (79) ، وقد يختتم النص بالدعاء كقوله : (وهذا باب طويل الذيل مياس ، وفيما وقع النص عليه ووصلت الإشارة إليه ، بلاغ لمن أثر رشده وقصد حظه وبذل سعيه وأم غايته وفقنا الله لما يحب واستعملنا فيما يرضى انه قريب مجيب) (80) ، فمن سمات الخواتم في الكتاب خلوها من الفكرة ، وقصرها ، وعدم مناسبتها لطول النص وتكرار الصيغ الواردة فيها .

2- أساليب السرد :

السرد هو وسيلة الأديب لنقل الوقائع بالألفاظ إلى المتلقي فيختار طريقته الخاصة (فكان السرد إذن هو نسج الكلام ولكن في صورة حكي وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم حيث تميل المعاجم الغربية إلى تقديمه بمعنى النسج أيضاً) (81) .

السرد الذاتي :

يتسم السرد الذاتي بان رؤيته شخصية وبأن الشخصية الساردة مشاركة أو مراقبة لما يجري فيكون (معادلاً لإسقاط الذات على الموضوع أي النظر إلى الموضوع ليس كما هو وإنما من وجهة نظر الذات فقط وإذا كان لذلك محاذيره فيمكن أن يكون له فائدة واحدة وهي أن تقديم العالم الموضوع من وجهة نظر الذات يفتح الباب واسعاً أمام المخييلة لتقدم العالم كما تراه) (82) ، وفي هذا النمط السردى نرى الأشياء من منظور الشخصية الساردة التي تروي لنا في الوقائع والأحداث .

ورد السرد الذاتي في قول التوحيدي (سمعتُ أبا سليمان يقول : الفرق بين الكلي والكل أن الكل متأخر عن أجزائه والكلي متقدم على جزئياته والفرق بين الأجزاء أن طبيعة الكلي بمنزلة الحيوان موجودة في كل واحد من أجزائه بمنزلة الانسان والفرس وأما الكل بمنزلة العشرة فطبيعة غير موجودة في كل واحد من أجزائه بمنزلة الثلاثة والتسعة) (83) .

السرد الموضوعي :

يكون الراوي عليمًا بكل شيء في السرد الموضوعي ويخترق المكان والزمان ليدلي بصوته (فهو راو محايد لا يتدخل في تفسير الأحداث بل يصفها كما يراها او كما تروى له أو كما يستنتقها في أذهان الشخصيات) (84) .

ورد السرد الموضوعي في قول التوحيدي : (أن وجلاً كان له خدام وكان مكاريًا صاحب حمير ، ويخدمه عليها غلمان ويثق به في عمله تجار كبار وأنه في بعض طرقه وأسفاره سيب الحمير وطرح الأثقال وقال : ليأخذ من شاء ما شاء وعاد إلى بيته على ولهٍ شديد لا ينطق بحرف ولا يتعلق بأمر ولا يستوضح خياله شيء فساء أهله ذلك ومعارفه فعاتبوه وأطالوا عليه ، فلما كان في بعض الأيام وقد احتوشوه بكل قول ورموه عن كل قوس توجه نحو الحائط وقال : يا قوم ما لكم ومالي ؟ وما هذا التعجب والإكثار ؟ أما رأيتم من كان قاعداً على مزبلة فنبتت من بين يديه عين صافية بماء كالزلال عذب حلو فشرب منها وتجعج بها وعاشت نفسه بمجاورتها وكانت سبب ربه الذي لا ظمأ بعده وطهره الذي لا دنس معه ؟ هذا تمام الحكاية) (85) .

السرد الحوارى :

فى هذا النمط من السرد تتبادل الشخصيات الكلام وقد يكون بين شخصيتين أو أكثر ويتصف (حديثهم بالموضوعية والإيجاز والإفصاح وهو الطابع الذى ينسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار ويشتمل على نسب موزونة منظومة من الإيقاع والأتزان) (86) .

يعد الحوار عنصراً رئيساً فى كتاب المقابسات فعن طريقه تطرح الأفكار والآراء والأسئلة كما يتجلى ذلك فى النص الآتى عندما سئل أحد الفلاسفة (فما الرأى ؟ قال : شىء من تلقى الظن والتوهم بشركة العقل والتجربة . قيل : فما السعادة ؟ قال : نيل النفس طلبتها قيل فما طلبتها ؟ قال : عودها إلى معادها برية من كل دنس وروب خالصة من كل عارض وشوب (...)) قيل فما الجود ؟ قال بذل ماحواه الملك من المال وما حوته النفس من الحكمة بصفاء من المن وخلص من الكدر ، قيل له : فما الظن ؟ قال : قوة وهم لا دعامة له من العقل ولا إيد له من العيان . قيل له فما الوعد ؟ قال : قول يحاسن به قلب الموعد بانتظار الخير ، قيل له : فما الوعيد ؟ قال : كلام ينفر به عن توقع المكروه وحلوله . قيل له : فما الحكمة ؟ قال : القيام بحقائق الاعتقاد فى العلم والتناهى فى الاجتهاد ببذل الوسع فى صلاح العمل (...)) قيل : فما الدنيا ؟ قال : لعب ولهو وغفلة وسهو وهى فى غيب ظاهر عيان ومصحوب حسن ومفارق لحقيقة عقل) (87) . يتسم الحوار هنا بالطول والعلمية ، وقد يأتى الحوار قصيراً لتبادل أكثر من شخصيتين كما فى النص الذى سأل فيه التوحيدي أبا سليمان (قلت له : فهل يخطئ الكاهن كما يخطئ المنجم ؟ ، فقال : نعم وليس الخطأ محالاً منه لأن قوته لا تبلغ الغاية فى الخلاص أبداً بسبب تركيبه الذى هو سبب استحالة ما يحاوره بنفسه . قال له أبو العباس البخارى : فهل يخطئ صاحب النبوة ؟ قال : لا ولكن يسهو كما فى حديث ذى اليمين وسهوه وخطأه لا يقدران فى الحال التى رشح لها ووشح بها وجعل سفيراً إلى الخلق من أجلها) (88) .

السرد القصصى :

تتوفر فى هذا النوع من السرد عناصر القصة كالشخصيات والمكان والزمان والاحداث كما فى قول التوحيدي : (خرج أبو سليمان يوماً ببغداد إلى الصحراء ، بعض أيام الربيع قصداً للتفرج والمؤانسة وصحبته وكان معنا أيضاً صبي دون البلوغ جهم الوجه بغىض المحيا شتيم المنظر ولكنه كان مع هذه العورة يترنم ترنما ندياً (...)) وكان معنا جماعة من طراق المحلة فلما تنفس الوقت أخذ الصبي فى فنه وبلغ أقصى ما عنده فترنح أصحابنا وتهادوا وطربوا فقلت لصاحب لى ذكى : أما ترى ما يعمل بنا شجن هذا الصوت وندى هذا الحلق وطيبة هذا اللحن وتفنن هذه النعمة) (89) ، وفى هذا النمط من السرد تتوفر عناصر قصصية كالشخصيات المتمثلة بأبي سليمان وهى شخصية تاريخية ذات وجود حقيقى فى العصر العباسى ، والصبي . والمكان

التاريخي كبغداد والمكان المفتوح كالصحراء . والزمن الطبيعي كالיום والربيع . لقد (أولع التوحيدي بوضع الأحاديث والأسمار ووقائع التاريخ في الصورة الروائية فلا يكتفي بإيراد الحادث على ما عرف وتناقله الرواة بل يعرض له ويرسل عليه صيباً مدراراً من خصائص بلاغته وزاخر بيانه فإذا هو قصة ذات وقائع وأشخاص وأبطال تروع إذا مثلت وتروق من أصباغ وما يطيها به من ألوان فهو لا يعدو في النتيجة أن يمثل الحقيقة في أصدق مظاهرها) (90) .

السرد المرسل :

في هذا النمط من السرد يعنى الكاتب باللفظ والمعنى على السواء دون تفريط في أحدهما على حساب الآخر كقول التوحيدي : (هذه مقابسة رسمنا فيها كلمات نافعة كانت متفرقة في ديوان الحفظ ولم ننسبها الى شيخ واحد لأنها كانت تجري في مجالس مختلفة وهذا موضع يقتضي حصولها فيه لتكون مجاورة لأخواتها وداخلة في جملة ما لاق بها وفي النفس بعد هذا جمع النوادر للفلاسفة مع التصفح والإيضاح إن أخر الله ما لا بد منه وأعان على أظهار ما تتحدث النفس به يكون شرفاً لجامعه وفائدة للظافر به وغنيمة للطالب له) (91) ، فالأسلوب هنا واضح ولا تغطي الألفاظ فيه على المعاني ويخلو من المحسنات اللفظية والمعنوية وهو متسلسل لا تتخلله الوقفات الوصفية . لقد كان في عصر التوحيدي (كتاب آخرون جل موضوعاتهم رسائل ديوانية واخوانية ومقامات وعهود وطريقتهم تعتمد على إثارة اللفظ والصناعة ومنهم ابن العميد وبديع الزمان والخورزمي وابن عباد والعجب أن الغلبة صارت لهؤلاء لأن أكثرهم من الوزراء والحكام وذوي الجاه أما أبو حيان فقد خرج على الموضوعات الغالبة في عصره من رسائل اخوانية وديوانية ومقامات وكتب عهود وخرج أيضاً على الأسلوب الشائع في القرن الرابع ، أسلوب الاحتفال باللفظ والصناعة أكثر من الفكرة ولهذا قدره كثير من الدارسين المحدثين مثل السندوبي ومحمد كرد علي وزكي مبارك) (92) .

3- الفنون البلاغية :

إذا كانت اللغة مادة الأدب فإن البلاغة روحه ولا يكتمل جمال لفظه وسحر تعبيره دون اساليب بلاغية موحية تزيده تأثيراً ومن فنون البلاغة الواردة في كتاب المقابسات الصورة البيانية ، و(غاية الصورة الأولى أن تمكن المعنى في النفس لا عن طريق الوضوح ولكن عن طريق التأثير ، أن تترك في النفس انطباعاتاً جميلةاً مبهماً أشبه بما يتركه منظر من مناظر الوجود الرائعة في نفس الإنسان ، وما الصورة في حقيقة الأمر إلا هذا الأثر الذي يعلق بالنفس فيترك فيها نوعاً غامضاً من المتعة) (93) . ويستعمل مصطلح الصورة (للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعماري للكلمات) (94) .

وردت صور تشبيهية في قول التوحيدي : (الإنسان الذي لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة لا ثمر لها وقال آخر : البخيل الغني كالجبان القوي) ⁽⁹⁵⁾ ، فالمشبه هو الإنسان والمشبه به هي الشجرة ووجه الشبه هو الخلو من الفائدة . ويذكر التوحيدي الصفات المشتركة والمتشابهة بين الإنسان والحيوان في قوله : (ألا ترى أن الإنسان يوجد له زهو كزهو الفرس، وتيه كتيه الطاوس وحكاية كحكاية القرد ولقن كلقن الببغاء ، ومكر كمكر الثعلب وسرقة كسرقة العقعق وعاياة كعاياة الغراب وجرأة كجرأة الأسد وجبن كجبن الصفرد وإلف كإلف الكلب) ⁽⁹⁶⁾ .

ففي هذه الصور التشبيهية يتجلى اشتراك الإنسان والحيوان في صفات عديدة كالزهو والمكر والسرقة والجرأة . ومن الصور الاستعارية والكناية الواردة في قول التوحيدي: (نقلتُ هذا الكتاب والدنيا في عيني مسوذة وأبواب الخير دوني منسدة بثقل المؤنة وقلة المعونة وفقد المؤنس بعد المؤنس وعثار القدم بعد القدم وانتشار الحال بعد الحال هذا مع ضعف الركن واشتعال الشيب وخمود النار وأقول شمس الحياة ، وسقوط نجم العمر وقلة حصول الزاد وقرب الرحيل) ⁽⁹⁷⁾ . إن سواد الدنيا كناية عن الحزن والتشاؤم وقد عرف التوحيدي بنظرته السوداوية للحياة (أن التوحيدي كان معتل الطبع ذا مزاج سوداوي ويغلب على صاحب هذا المزاج الحزن والانقباض اللذان يفيضان به حتماً إلى التشاؤم والنظر للعالم من جوانبه الكئيبة المظلمة) ⁽⁹⁸⁾ ، وتكمن الاستعارة في اشتعال الشيب وسقوط نجم العمر إذ استعار كلمتي الاشتعال والنجم ليصف مضي العمر وكبر السن والضعف وفي هذه الحالة (ينقلب المعقول محسوساً تكاد تلمسه اليد وتبصره العين ويشمه الأنف وتتكلم الجمادات وتتنبس الأحجار وتسري فيها آلاء الحياة فترى الطبيعة الصامتة الجامدة تغني وترقص وتلهو وتلعب كأنها من ذات الروح والمشاعر والأحاسيس) ⁽⁹⁹⁾ .

وزين التوحيدي أسلوبه بالفنون البديعية كالسجع (لكن سجعه ليس كثيراً وليس مطرداً فهو لا يطغى على ترسله ، بل لا يقاربه أو يساويه حتى يسلكه في عداد السجاعين إلا في كتابه الاشارات الالهية ، وقد كان يسجع في تعبيره عن عاطفته وفي مواضع لا عاطفة فيها لأنه وجد في الجمل المزدوجة والجمل المسجوعة نغماً يطرب له وصياغة تكفل لتعبيره القوة والقبول والذووع . وسجعه كله قصير متناسب القصر مسوق في مهارة ولباقة لا تشعر القارئ بأنه تعمد أو اصطنعه ولا شيء فيه من اهمال المعنى أو الطغيان عليه وإذا ما سجع عاد الى الترسل وانطلق أو عاد إلى السجع ثم انطلق) ⁽¹⁰⁰⁾ .

ورد السجع في النص الآتي : (من غمس نفسه في غمار الطبيعة هلك وطاح ، ومن اجتلى نفسه بزينة العقل طرب وارتاح ، ومن صمد للغاية بجده وجهده نشر وباح ، ومن تهاون بتحصيل ماله وعليه خسر وناح) ⁽¹⁰¹⁾ ، يظهر السجع في الكلمات الآتية : طاح - ارتاح - ناح - ناح. وفي قول التوحيدي : (فالنفوس تتقادح والعقول تتلاقح والالسنه تتفتاح) ⁽¹⁰²⁾ . يبدو السجع في : تتقادح - تتلاقح - تتفتاح . ويكثر التضاد في كتاب المقابسات كما في النص الآتي :

(والملك يأمر وينهي ويصدر ويورد ويحل ويعقد وينظم ويبدد ويعد ويوعد ويبرق ويرعد ويقدم ويؤخر ويخلع ويهب وقد علم صغير أوليائه وكبيرهم ووضع رعاياه وشريفهم ونبيه الناس وخاملهم أن الرأي الذي يطلق بأمره كذا وكذا صدر من الملك الى كاتبه) ⁽¹⁰³⁾ . يتجلى التضاد بين الكلمات الآتية :

يأمر --- ينهى . يصدر --- يورد . يحل --- يعقد . ينظم --- يبدد . يقدم --- يؤخر .
يخلع --- يهب . صغير --- كبير .
وضع --- شريف . نبيه --- خامل .

كما ورد التضاد في النص الآتي : (لما كان عالم النجوم وصاحب الشغف بالأحكام يريد أن يقف على أحداث الزمان في مستقبل الوقت من خير وشر وخصب وجذب وسعادة ونحس وولاية وعزل ومقام وسفر وغم وفرح وفقير ويسار ومحبة وبغض وجدة وعدم وعافية وسقم وألفة وشتات وكساد ونفاق وإصابة وإخفاق وراحة ومشقة وقسوة ورقة وتيسير وتعسير وتمام وانقطاع والتئام وانصداع وافتراق واجتماع واتصال وانبتات وحياة وممات وهو انسان ناقص في الاصل زائد في الفرع) ⁽¹⁰⁴⁾ .

تنبثق من هذا النص ثنائيات متضادة عديدة فيا ترى ما دلالة هذا الاسلوب ؟ وهذا الجمع بين الأضداد ؟ يقول دارس أن التوحيدي (حين يكثر في أسلوبه من ألفاظ الازدواج والمقابلة إنما يكشف عن شخصية تحيا على التناقض والمفارقة *paradoxe* وتحاول دائماً أن تجمع بين الأقطاب المتعارضة) ⁽¹⁰⁵⁾ . بينما يرى دارس آخر أن التوحيدي (يميل إلى التضاد ليزيد الفكرة قوة ووضوحاً لا ليتلاعب باللفظ) ⁽¹⁰⁶⁾ .

4- السمات العامة :

أ. الطول :

يمتاز قسم من النصوص التي وردت في كتاب المقابسات بالطول اذ تتجاوز عشر صفحات ⁽¹⁰⁷⁾ . بينما تمتاز مجموعة أخرى بالقصر فلا تتجاوز صفحة واحدة ⁽¹⁰⁸⁾ . ويبلغ قسم منها أربعة اسطر أو أكثر بقليل ⁽¹⁰⁹⁾ وهذا التباين في الحجم تحدده حرية الكاتب وعفويته فإن (أقرب أنواع النثر الإنشائي إلى المقالة هي القصة القصيرة والخطابة ، تلتقي الأولى وإياها في الحجم ومحدودية التجربة وتختلف في أنها - أي المقالة - أكثر حرية في الشكل وأكثر عفوية وأوسع مدى في الموضوعات) ⁽¹¹⁰⁾ . وهذا التباين في حجم المقالات سببه العفوية فالمقالة (لا يكون لها تبويب ولا تنظيم والكاتب فيها حر يكتبها كما يشاء بلا ضوابط مسبقة وهذه الخصيصة تقرب بين المقالة الأدبية والشعر الغنائي العربي عند شعراء مذهب الطبع الذي بلغ ذروته عند البحري وهو المذهب الذي يرى أن الشعر ينظم ارتجالاً وعلى نحو عفوي دون تنقيح أو إعادة

نظر فيه على نقيض مذهب الصنعة الذي بلغ قيمته عند أبي تمام الذي كان يرى الشعر صناعة وتشذيباً وتنقيحاً⁽¹¹¹⁾ .

ومن السمات العامة في الكتاب التكرار وهو (إعادة اللفظ الواحد بالعدد والنوع أو المعنى الواحد في القول مرتين فصاعداً)⁽¹¹²⁾ . وتعددت صور التكرار سواء كان لفعل أو لاسم أو لأداة أو لصيغة فمن تكرار الفعل قول التوحيدي : (يقال : ما الصدق ؟ الجواب هو مطابقة القول لما عليه الأمر ، ويقال أيضاً الأخبار عن الشيء بما هو عليه . يقال : ما الكذب ؟ الجواب هو ما لا مطابقة للقول لما عليه الأمر وأيضاً الأخبار عن الشيء بخلافه يقال ما الحق ؟ الجواب : هو ما وافق الموجود وهو ما هو)⁽¹¹³⁾ . فلقد تكرر الفعل يقال أكثر من مرة والغرض منه الإجابة عن السؤال . ومن تكرار الاسم قول التوحيدي : (وزن النفس بالنفس هو العبادة بالنفس ، وردع النفس بالنفس هو العلاج للنفس وعون النفس بالنفس هو التدبير للنفس وانتساب النفس بالنفس هو التعرف للنفس)⁽¹¹⁴⁾ . إذ تكررت كلمة النفس في أكثر من موقع . ومن تكرار الصيغ قول التوحيدي : (لم نجد لغة كالعربية وذلك لأنها أوسع مناهج وألطف مخارج وأعلى مدارج وحروفها أتم وأسمأوها أعظم ومعانيها أوغل ومعاريضها أشمل)⁽¹¹⁵⁾ فلقد تكررت صيغة أفعل مثل أوسع وألطف أعلى ، وأتم وأعظم واشمل . فما أهمية الصيغة المكررة في هذا النص وفي النصوص السابقة ؟ (إن اللفظة الدالة لا تحقق ذاتها إلا بفضل قابليتها على التكرار وإمكانية إعادتها في غياب الشيء الذي تشير إليه)⁽¹¹⁶⁾ .

وتشيع الأسماء والمصطلحات الفلسفية في الكتاب مثل (قال افلاطون من ملك منطقة سمي حليما ومن ملك غضبه سمي شجاعاً ومن ملك شهوته سمي عفيفاً . قال : وقيل لافلاطون أي الأمرين أعلى درجة ، أن يقول ما يعلم أو يعلم ما يقول ؟ فقال : أن يقول ما يعلم ؛ لأن مرتبة العلم فوق مرتبة القول)⁽¹¹⁷⁾ ومن المصطلحات الفلسفية الكل والجزء إذ (الفرق بين الكلي والكل أن الكل متأخر على أجزائه والكلي متقدم على جزئياته)⁽¹¹⁸⁾ . وتكثر العبارات الدينية في الكتاب فلقد سأل التوحيدي أبا سليمان : لماذا (لم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وأمثلة الألفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة ؟)⁽¹¹⁹⁾ .

فالتوحيد والشريعة كلمات ذات طابع ديني إسلامي وإن استعمال المصطلحات الفقهية والفلسفية من السمات العامة في أسلوب التوحيدي . إن الفن الأدبي هو (بناء لفظي وحتى الناقد المهتم أساساً بتاريخ الأفكار أو التضمينات الاجتماعية للأدب قلما يستطيع أن يتخطى العموميات بدون الانتباه إلى الطريقة التي تستعمل فيها الكلمات)⁽¹²⁰⁾ .

ومن سمات الأسلوب في كتاب المقابسات تضمنه الدعاء لقسم من فلاسفة العصر العباسي كقول التوحيدي : (حفظك الله ولو انتفعنا ببعض هذه الفقر الكريمة سعدنا ونلنا منيتنا ،

فسل ربك ذلك بالتضرع إليه والخضوع بين يديه⁽¹²¹⁾ وكقوله في موضع آخر : (أخذ الله بأيدينا وكفانا الهوى الذي يؤذينا وصنع لنا بالذي هو أولى به منا والسلام)⁽¹²²⁾ ، وهذه السمة الأسلوبية شائعة في أسلوب أغلب كتاب العصر العباسي الذين (أكثرُوا من الجمل الدعائية وإن كان الجاحظ قد سبق إلى ذلك وقد أشبههم أبو حيان فأكثر من مثل هذا الدعاء)⁽¹²³⁾ .

لقد كان التوحيدي (بصيراً بما يتطلب التعبير الفني من دقة وجهد (...)) ولهذا نجده قد برع في استعمال الكلمات لأنه صاحب حس لغوي دقيق في وضعها المواضع الملائمة لها وقد يسّر عليه هذه البراعة علمه باللغة وحفظه لمفرداتها وبصره بمعانيها وذوقه المرهف في معرفة مدلولاتها ومناسباتها)⁽¹²⁴⁾ ، ويتضح مثل هذا الأسلوب في كتاب المقابسات فهو (أسلوب أدبي راق يحب الازدواج ويطيل البيان ويولد المعاني حتى لا يدع لقائل بعده قولاً)⁽¹²⁵⁾ .

الخاتمة

توافرت ملامح المقالة الموضوعية في كتاب المقابسات فمن حيث المضامين وجدت فيه الاتجاه الفلسفي كالصداقة ومكانة العقل والحكمة ، والحركة والسكون ، والاتجاه النفسي مثل : حقيقة الضحك والغضب وعلة ظهور السر . والاتجاه الاخلاقي مثل : تهذيب السلوك واصلاح النفس والخلق ، والاتجاه الديني كالبعث والنشور وحكمة تقسيم الأرزاق بين العباد ، والاتجاه النقدي لقضايا اللغة والأدب كتأثير إيقاع الشعر في النفس والصدق في الأدب ، والاتجاه السياسي كدور السلطان وواجبه تجاه الرعية . ويغلب على هذه المقالات الطابع العلمي الموضوعي لقضايا الكون والإنسان والدين والأدب واللغة والسياسة عرضها التوحيدي في إطار فلسفي .

وتضمنت نصوص المقابسات الملامح الفنية للمقالة كالعنوان الدال والاستهلال والعرض والخاتمة . وأساليب السرد مثل السرد الذاتي والموضوعي والحواري والقصصي والمرسل . وفنون بلاغية متنوعة كالصور البيانية والفنون البديعية ، ومن سمات نصوص المقابسات تباينها من حيث الطول ، وتكرار قسم من الصيغ والألفاظ ، وتضمنها بعض الأساليب كالدعاء ، ومن خصائص النصوص الواردة في كتاب المقابسات وضوح الأسلوب ، والموضوع المحدد ، والتصميم المنهجي المتسلسل كالمقدمة ، والعرض ، والخاتمة ، وهذه الخصائص هي من سمات المقالة الموضوعية .

يمكنني القول أخيراً : إن البذرة الأولى لملامح المقالة الموضوعية وجدت في العصر العباسي وتحديداً في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي . وهذه المقالات تضمنت جانباً علمياً هاماً في العصر العباسي .

المصادر والمراجع أولاً . القرآن الكريم . ثانياً . الكتب :

1. أبو حيان التوحيدي : د. إحسان عباس ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، دون طبعة ، 1956م .
2. أبو حيان التوحيدي : د. احمد محمد الحوفي ، الجزء الاول والثاني ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، دون طبعة ، 1957م .
3. أبو حيان التوحيدي سيرته - آثاره : عبد الرزاق محيي الدين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط2 ، 1979م .
4. أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات : د. عبد الأمير الأعسم ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1980م .
5. أدب الدنيا والدين : أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي (ت450هـ) تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ط3 ، 1955م .
6. الأدب العربي : فواز الشعار ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1999م .
7. الأدب وفنونه : د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، دون طبعة ، 1974م .
8. الاستهلال في بدايات النص الأدبي : ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، دون طبعة ، 1993م .
9. الأسلوب والأسلوبية : كراهام هوف ، ترجمة كاظم سعد الدين ، دار آفاق عربية ، بغداد ، 1985م .
10. اشكالية الفلسفة في الفكر العربي الاسلامي ابن رشد نموذجاً : د. فوزي حامد الهيتي ، دار الهادي ، بيروت ، ط1 ، 2005م .
11. الأعلام : خير الدين الزركلي ، الجزء الأول والثالث والسادس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط17 ، 2007م .
12. ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد : د. عبد الملك مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون طبعة ، 1993م .
13. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد الرحيم ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 2005م .
14. البلاغة العربية في ثوبها الجديد : بكري شيخ امين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1984م .

15. تشكيل المكونات الروائية : المويهن مصطفى ، دار الحوار ، اللاذقية ، ط1 ، 2001م .
16. حلول فلسفية : عبد الجبار الوائلي ، دار منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط1 ، 1983م .
17. الحوار في القصة والمسرحية والاذاعة والتلفزيون : د. طه عبد الفتاح مقلد ، الدار الزيني للطباعة ، المنيرة ، دون طبعة ، 1975م .
18. دفاع عن المقالة الأدبية : د. فائق مصطفى ، مطبعة آرابخا ، كركوك ، ط1 ، 2008م .
19. رسالة الصداقة والصديق: أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : د. ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، 1964م .
20. السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين : د. فوزي سالم عفيفي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، دون طبعة ، دون تاريخ .
21. السهم والدائرة : محمد كامل الخطيب ، دار الفارابي ، بيروت ، 1979م .
22. سيمياء العنوان : بسام موسى قطوس ، مطبعة البهجة ، عمان ، 2002م .
23. الصورة الأدبية : مصطفى ناصف ، مكتبة مصر ، 1958م .
24. ظهر الاسلام : احمد امين ، القاهرة ، 1945م .
25. الفكر التربوي الاسلامي : د. عبد الله زاهي الرشدان ، دار وائل للنشر ، عمان ، ط1 ، 2004م .
26. فن المقالة : محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط4 ، 1966م .
27. في الأدب ومذاهبه المعاصرة : د. علي عبد الخالق علي دومه ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، ط1 ، 1990م .
28. الكامل في النقد الأدبي : كمال أبو مصلح ، منشورات المكتبة الحديثة ، بيروت ، ط3 ، 1967م .
29. كتاب العقد الفريد: أبو عمر احمد بن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق احمد امين ، احمد الزين ، ابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط3 ، الجزء الاول ، 1965م .
30. لسان العرب : ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت ، المجلد الثالث .
31. المدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب : د. جعفر آل ياسين ، بغداد ، 1978م .
32. المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهي (ت850هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الجزء الاول ، 1959م .
33. المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1979م .

34. المعنى الأدبي من الظاهرية الى التفكيكية : وليم راي ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط1 ، 1987م .
35. مقدمة في النقد الأدبي : د. علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط2 ، 1983م .
36. المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع : أبو محمد القاسم بن محمد السجلماسي ، تحقيق علال الغازي ، المغرب ، 1980م .
37. النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، دون طبعة ، 1973م .

ثالثاً. الدوريات :

1. شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفاريانق : محمد الهادي المطوي ، عالم الفكر ، بيروت ، المجلد (28) ، العدد (1) ، 1999م .
2. الفلسفة الاسلامية إعادة توجيه أم فهم جديد : حسين نصر ، دراسات فلسفية ، بغداد ، العدد (3) ، 1999م .
3. المقال الأدبي في النثر التونسي الحديث : عبد الرحمن عبيد ، الحياة الثقافية ، تونس ، العددان (22-23) ، 1982م .
4. النقد السياسي عند أبي حيان التوحيدي من خلال الإمتاع والمؤانسة : البشير المجذوب ، الحياة الثقافية ، تونس ، العدد (61) ، 1991م .

الهوامش

- (1) لسان العرب : ابن منظور ، مادة قول / 189 .
- (2) دفاع عن المقالة الأدبية : د. فائق مصطفى / 9 .
- (3) المعجم الأدبي : جبور عبد النور / 260 .
- (4) الأدب وفنونه : د. محمد مندور / 193 .
- (5) المقال الأدبي في النثر التونسي الحديث: عبد الرحمن عبيد ، الحياة الثقافية ، تونس ، العددان 22-23، 1982م/ 66 .
- (6) فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث : ربيعي عبد الخالق / 69 .
- (7) المصدر نفسه/ 69 .
- (8) بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد عبد الرحيم/ 637 .
- (9) أبو حيان التوحيدي سيرته - آثاره : عبد الرزاق محيي الدين ، / 71 .
- (10) أبو حيان التوحيدي : د. أحمد محمد الحوفي / 90/2 .
- (11) رسالة الصداقة والصدق : أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : د. إبراهيم الكيلاني / 7 .
- (12) ابو حيان التوحيدي سيرته - آثاره : عبد الرزاق محيي الدين / 329 .
- (13) ابو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات : د. عبد الامير الأعسم / 74-76 .
- (14) في الأدب ومذاهبه العاصرة : د. علي عبد الخالق علي دومه / 116 .
- (15) المدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب : د. جعفر آل ياسين ، / 33 .
- (16) المقابسات : ابو حيان التوحيدي ، تحقيق حسن السندوبي / 359-360 . النوشجاني : فليسوف عاصره التوحيدي الفيلسوف : هو أرسطو . أبو برقش : طائر صغير أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتقش تغير لونه لواناً شتى.
- (17) الفلسفة لكل الناس : د. عادل البكري / 20 .
- (18) المصدر نفسه / 59 .
- (19) المقابسات : أبو حيان التوحيدي / 234-235 .
- عيسى : أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود الجراح كان ابوه من الوزراء الكفاة في عهد المعتضد العباسي ببغداد وكان عيسى على علم وفضل في علوم الاوائل وتصدّر في ديوان الرسائل .
- (20) السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين : فوزي سالم عفيفي / 51 .
- (21) اشكالية الفلسفة في الفكر العربي الاسلامي ، ابن رشد نموذجاً : د. فوزي حامد الهيتي / 41 .
- (22) المقابسات : ابو حيان التوحيدي / 309-315 .
- العامري (ت381هـ) : عالم بالمنطق والفلسفة ولد في نيسابور شرح بعض نصوص ارسطو وراسل ابن سينا . من تلامذته أبو حيان التوحيدي .
- (23) المصدر نفسه / 191 .
- (24) المصدر نفسه / 182 .
- (25) المصدر نفسه / 193 .
- (26) المصدر نفسه / 225 .

- (27) المصدر نفسه /232 .
- (28) أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات : د. عبد الأمير الأعسم /220 .
- (29) المصدر نفسه /109 .
- (30) المقابسات : أبو حيان التوحيدي/274 .
- أبو سليمان : هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني . عالم كبير وفيلسوف جليل كان عظيم القدر عند عضد الدولة ووزرائه ومن في منزلتهم وكان بيته كعبة القصاد ومثل الوارد من الرؤساء والحكماء والادباء وأهل الفضل مات في حدود سنة 380هـ .
- (31) أدب الدنيا والدين : أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي (ت450هـ) /234 .
- (32) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /145-146 .
- (33) المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهي (ت850هـ) /207/1 .
- (34) ابو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات : د. عبد الأمير الأعسم /129 .
- (35) حلول فلسفية : عبد الجبار الواصل /12 .
- (36) الفلسفة لكل الناس : د. عادل البكري /116 .
- (37) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /140-141 .
- (38) ابو حيان التوحيدي اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء : زكريا ابراهيم /96 .
- (39) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /325 .
- (40) الفلسفة الاسلامية اعادة توجيه أم فهم جديد : حسين نصر ، ترجمة كاظم سعد الدين ، دراسات فلسفية ، بغداد ، العدد (3) ، 1999م /103 .
- (41) حلول فلسفية : عبد الجبار الواصل /66 .
- (42) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /188-189 .
- يونس : هو أبو بشر متي بن يونان القنائي نسبة الى دير قني . نشأ في اسكول مرماري . نزل بغداد وقرأ المنطق وكان قيما بالنقل من السرياني الى العربي واليه انتهت رئاسة اهل المنطق في عصره . توفي على نصرانيته ببغداد سنة 328 هـ .
- (43) الفكر التربوي الاسلامي : د. عبد الله زاهي الرشدان /163 .
- (44) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /141-142 .
- (45) أدب الدنيا والدين : أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت450هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا /119 .
- (46) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /261-262 .
- (47) المصدر نفسه /293-294 .
- (48) المصدر نفسه /174-175 .
- أبو سعيد السيرافي : هو الحسن بن عبد الله بهزاد السيرافي نحوي أديب متكلم مشهور توفي عن اربع وثمانين من عمره سنة 368هـ .
- (49) اشكالية الفلسفة في الفكر العربي الاسلامي ابن رشد نموذجاً : د. فوزي حامد الهيتي /80 .
- (50) النقد السياسي عند أبي حيان التوحيدي من خلال الامتاع والمؤانسة : البشير المجذوب ، الحياة الثقافية ، تونس ، العدد (61) ، 1991م /32 .
- (51) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /263 .

- (52) المصدر نفسه / 270 .
- (53) كتاب العقد الفريد : ابو عمر احمد بن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق : احمد امين ، احمد الزين ، ابراهيم الابياري ، 17/1 .
- (54) ابو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات : د. عبد الأمير الأعسم /280.
- (55) الكامل في النقد الأدبي : كمال أبو مصلح /58 .
- (56) شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفاريق : محمد الهادي المطوي ، عالم الفكر ، بيروت، المجلد (28) ، العدد (1) ، 1999م /455 .
- (57) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /117 .
- (58) المصدر نفسه /118 .
- (59) ينظر المصدر نفسه /119 وما بعدها .
- (60) سيمياء العنوان : بسام موسى قطّوس /57 .
- (61) الاستهلال في بدايات النص الادبي : ياسين النصير /9 .
- (62) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /243.
- (63) المصدر نفسه /272 .
- (64) المصدر نفسه /243 .
- (65) ابو حيان التوحيدي في كتاب القابسات : د. عبد الأمير الأعسم / 231.
- (66) المصدر نفسه /234 .
- (67) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /257 .
- (68) المصدر نفسه /169 .
- (69) المصدر نفسه /293 .
- (70) المصدر نفسه /284.
- (71) الأدب العربي : فواز الشعار /173 .
- (72) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /201 .
- (73) المصدر نفسه /170 .
- (74) دفاع عن المقالة الأدبية : د. فائق مصطفى /6 .
- (75) فن المقالة : محمد يوسف نجم /131 .
- (76) المقابسات : ابو حيان التوحيدي /143 .
- (77) المصدر نفسه /172 .
- (78) المصدر نفسه /198 .
- (79) المصدر نفسه /243 .
- (80) المصدر نفسه /191 .
- (81) الف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد : د. عبد الملك مرتاض /84 .
- (82) السهم والدائرة : محمد كامل الخطيب /83 .
- (83) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /291.
- (84) تشكيل المكونات الروائية : الموفين مصطفى /130 .

- (85) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /228 .
مكاريا : مؤجراً
- (86) الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون : د. طه عبد الفتاح مقلد /28.
- (87) المقابسات : أبو حيان التوحيدي 373-374 .
- (88) المصدر نفسه /227 .
- ذو الـيدين : هو الخرباق السلمي احد الصحابة . وهذا نص حديثه :عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! انصرف من اثنتين أي من صلاة ركعتين فقال ذو الـيدين : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ﷺ فقال : اصدق ذو الـيدين ؟ فقالوا :نعم فصلى اثنتين اخرين ثم سلم ثم كبر ثم سجد سجدتين .
- (89) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /163 .
- (90) المقابسات : ابو حيان التوحيدي ، مقدمة المحقق حسن السندوبي /17 .
- (91) المصدر نفسه /327.
- (92) أبو حيان التوحيدي : د. احمد محمد الحوفي /105/2 . السندوبي (1029 هـ - إلى 1097 هـ) (1620 م - 686 م):احمد بن علي السندوبي المصري من علماء الأزهر ومدرسيه له شرح الفية ابن مالك في النحو ومنظومة في مصطلح الحديث وشرح الشيبانية في العقائد وشرح العنقود للموصلي في النحو . توفي في القاهرة . الاعلام : خير الدين الزركلي 181/1 . محمد كرد علي (1293 هـ - 1372 هـ) (1876م - 1953م)هو محمد بن عبدالرزاق بن محمد بن كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه وصاحب مجلة المقتبس والمؤلفات الكثيرة واحد كبار الكتاب . أصله من أكراد السليمانية ومولده ووفاته في دمشق ، وحفظ أكثر شعر المتنبي ومقامات الحريري ثم كانت مفردات المقامات تضايقه حين يكتب وتولى تحرير جريدة الشام الأسبوعية الحكومية سنة 1315 هـ - 1318 هـ وكان يلتزم بها السجع . الاعلام : خير الدين الزركلي 202/6 . زكي مبارك (1308 هـ - 1371 هـ)(1891م - 1952 م) هو زكي بن عبد السلام بن مبارك أديب من كبار الكتاب المعاصرين امتاز بأسلوب خاص في كثير مما يكتب وله شعر في بعضه جودة وتجديد ولد في قرية سنتريس بمنوفية مصر وتعلم في الأزهر وأحرز لقب دكتوراه في الآداب من الجامعة المصرية ، واشتغل بالتدريس في مصر ، وانتدب للعمل مدرسا في بغداد وعاد الى مصر فعين مفتشا في وزارة المعارف . الاعلام : خير الدين الزركلي 47/3 .
- (93) النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال /442 .
- (94) الصورة الأدبية : مصطفى ناصف /3 .
- (95) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /267.
- (96) المصدر نفسه /236 .
- العقق : طائر كالغراب كانت العرب تتشاءم به . الصفرد : طائر يضرب به المثل في الجبن . العيافة : التشاؤم .
- (97) المصدر نفسه /308.
- (98) أبو حيان التوحيدي : د. ابراهيم الكيلاني /28 .
- (99) البلاغة العربية في ثوبها الجديد : بكري شيخ امين 111/2 .
- (100) أبو حيان التوحيدي : د. احمد محمد الحوفي 118/2-119 .
- (101) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /253.

- (102) المصدر نفسه /164 .
- (103) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /129.
- (104) المصدر نفسه /133 .
- (105) أبو حيان التوحيدي اديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء : د. زكريا ابراهيم / 117-118 .
- (106) أبو حيان التوحيدي : د. احمد محمد الحوفي /121/2 .
- (107) ينظر المقابسات : أبو حيان التوحيدي 120، 169 ، 330 .
- (108) ينظر المصدر نفسه / 232، 233، 279، 280، 284، 286 .
- (109) ينظر المصدر نفسه / 284، 286.
- (110) مقدمة في النقد الادبي : د. علي جواد الطاهر /262 .
- (111) دفاع عن المقالة الادبية د. فائق مصطفى /31 .
- (112) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع :أبو محمد القاسم بن محمد السجلماسي /476 .
- (113) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /316 .
- (114) المصدر نفسه /301-302 .
- (115) المصدر نفسه /294.
- (116) المعنى الادنى من الظاهراتية الى التفكيكية : وليم راي ، ترجمة يوثيل يوسف عزيز /165.
- (117) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /268 .
- (118) المصدر نفسه /291.
- (119) المصدر نفسه /257.
- (120) الأسلوب والأسلوبية : كراهام هوف ، ترجمة كاظم سعد الدين /87 .
- (121) المقابسات : أبو حيان التوحيدي /192 .
- (122) المصدر نفسه /206.
- (123) أبو حيان التوحيدي : د. احمد محمد الحوفي /123/2 .
- (124) المصدر نفسه /113/2 .
- (125) ظهر الإسلام : احمد أمين /238/1 .